العيارون والشطار
ودورهم في الحرب بين الامين والمأمون

د. محمد ارشيد العقيلي
ج. الامارات العربية المتحدة

العيارون والشطار لغة واصطلاحا :

العيارون جمع عيار ، والعيار لغة الشخص الكثير التجوال الذي يتردد على الاماكن بدون عمل . ويقال عار الفرس يعير ، أي ذهب أو انفلت يهيم على وجهه لا يثنيه شيء ، فهو عائر أي متردد وجوال . كما يطلق العيار على الوزان أو الكيال(١) . وفي الفارسية يعني اللص الشريف . والشطار جمع شاطر وفعله الثلاثي شطر . ويقال شطر عن أهله أي نزح عنهم وهجرهم ، والشطارة تعني الانفصال والابتعاد . والشاطر من عصا ولي أمره وانشطر عن أهله وعاش في الخلاعة . ويتصف الشاطر بالدهاء والمكر والخبث والذكاء والحيلة(٢) .

وأما العيارون والشطار اصطلاحا فهم علم على طائفة من اللصوص الشرفاء المتمردين على واقعهم الاجتماعي ، ذاع صيتهم وتردد ذكرهم في بعض حقب الدولة العباسية لاسيما في مرحلة التفكك السياسي ، وأيام الفتن الاهلية او المذهبية أو الازمات الاقتصادية الخانقة ، او التفاوت الاجتماعي الطبقي البغيض .

ثمة قواسم مشتركة بين العيارين والشطار وبين من أطلق عليهم اسم الاحداث والزعار والدعار والعياق والحرافيش ، أو اصحاب المهن المتدنية الوضيعة(٣) من المعدمين والجياع والعاطلين عن العمل الذين أعجزتهم البطالة وطحنهم الفقر . اذ ان كلا منهم قد احترف اللصوصية وسيلة . ولكن مع اختلاف في الغايات ، وتفاوت في الاهداف والمرامي لهذه « الطوائف » .

وهذه الدراسة تتمحور اولا حول نشأة طائفة العيارين والشطار في العراق عامة وبغداد خاصة . وتفسير دوافع هذه الطائفة وغاياتها ، وهل تتميز عن اللصوص العاديين . وثانيا موقف هذه الطائفة من اجتياح جيوش المأمون التي تأتمر بأوامر قادة

من الفرس لمدينة بغداد ، ابان الحرب بـ ين الامين والمأمون ، وتفسير هذا الموقف وما ترتب عليه من نتائج .

الصلة بين الصعاليك والعيارين والشطار :

ان الباحث لا يستطيع ان يتناول طوائف العيارين والشطار والفتيان ودورهم في المجتمع العربي الاسلامي دون ان يربط ذلك بطائفة الصعاليك(٤) في المجتمع الجاهلي. وذلك لما بينهما من وشائج عميقة في كثير من الدوافع والوسائل والغايات . فهي جميعها تصدر في سلوكها عن موقف مشترك رافض ومتمرد على الواقع الاجتماعي والسياسي في عصرها . والصعلكة في المجتمع الجاهلي تعتمد على لصوصية السيف والعقل ، ولكنها في جوهرها تقوم على النشاط الفردي أو البطولة الفردية . في حين تقوم حركة العيارين والشطار واضرابهم على النشاط الجمعي أو البطولة الجماعية ، وهي أشبه بتنظيم الجند أو النقابات المهنية .

وحركة الصعاليك في العصر الجاهلي هي تمرد على النظام الاجتماعي والاقتصادي ، لانهم وجدوا انفسهم ضحية لنظام جائر فرفضوه وتمردوا عليه فانشطروا « انفصلوا » عن قبائلهم فقابلتهم قبائلهم بدورها (بخلعهم) . وقد اسفر ذلك عن صراع مرير بين الجانبين ، بين الصعاليك الخلعاء وبين قبائلهم(٥). والصعاليك في الجاهلية طوائف ثلاث : الخلعاء الذين تبرأت منهم قبائلهم وطردتهم ، والاغربة السود الذي سرى لهم السواد من أمهاتهم الاماء فلم يعترف بهم اباؤهم العرب مثل تأبط شرا(٦) والشنفري(٧) ، ثم طائفة الفقراء والمتمردين الذين تصعلكوا نتيجة لظروفهم الاقتصادية السيئة ، ويمثلهم عروة بن الورد ومن التف حوله من فقراء العرب . ومن هذه الطوائف الثلاث تألفت عصابات انطلقت الى الصحراء يجمع بينها على اختلاف قبائلها الفقر والتشرد ، والتمرد على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتردية والايمان بان الحق هو القوة .

وبذلك يتضح ان الظاهرة في حياة الصعاليك هي أنهم جميعا فقدوا توافقهم الاجتماعي . وقد انتهى بهم ذلك الى «سلوك صراعي» مع مجتمعاتهم(٨) .

ان ما يعنينا من طوائف الصعاليك ذلك الفريق الذي صدر في سلوكه عن موقف فروسي نبيل ، أو احساس مرير بالقهر الاجتماعي،لا عن نزعة شريرة متأصلة حاقدة، فطارد الاغنياء المترفين ، ولا سيما البخلاء منهم ، وتربص الدوائر بالقوافل التجارية، وآلى أفراده على انفسهم أن يثأروا من مجتمعهم ، وان يقتلوا من يعترض طريقهم .

وبذلك تكون الصعلكة كما يراها يوسف خليف(٩) نزعة انسانية نبيلة ، وضريبة يدفعها القوي للضعيف ، والغني للفقير ، بهدف تحقيق لون من ألوان العدالة الاجتماعية ، واعادة التوازن الاقتصادي بين طبقتي المجتمع المتباعدتين . فالغزو والسلب والنهب لم يكن عند الصعاليك غاية بل وسيلة لتحقيق العدالة والتوازن الاجتماعي . ويجسد عروة بن الورد فلسفة هذا الفريق الاجتماعية والاقتصادية(١٠) ، معبرا عن تلك المعايير المادية التي تحكم عصره بمرارة وتهكم بقوله :

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير

ويقصيه النديّ وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير

وتلقى ذي الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير

وكما عرف القرشي(١١) الصعلوك بأنه لص شاطر مغير ، فان مصادر اخرى اشارت الى أن الصعاليك هم شطار العرب في الجاهلية . كما ألحق ابو عبيدة البكري(١٢) صفة العيارة بهم في اطلاقه اسم اللص العيار على قرين بن الصاد الكلبي.

والملفت للنظر أن بعض المصادر العربية ذكرت أن بعض الصعاليك طاب لهم أن يطلقوا على أنفسهم « الفتيان » لاتصافهم بالفتوة الدالة على الشهامة والمروءة والفروسية والشجاعة والنجدة ، واغاثة الملهوف ، ونكران الذات(١٣) وغيرها من مقومات « الفتوة الشعبية » .

والجدير بالذكر أن صعاليك العرب أو شطار الجاهلية وعياريها انقسموا حسب دوافعهم النفسية والاجتماعية الى فريقين : فريق متمرد حاقد تنطوي نفسه على نزعة أنانية شريرة . وفريق تنطوي نفسه على نزعة خيرة غايتها حماية المستضعفين وتحقيق العدالة الاجتماعية . وأشهر من يمثل هذا الفريق عروة بن الورد ومن انضوى تحت لوائه(١٤) . وقد تغنى بعض الصعاليك ببطولاتهم شعرا ونثرا بفخر واعجاب(١٥) ، وحفرت بعض قصصهم مكانا في الذاكرة الشعبية العربية كسيرة عنترة بن شداد الذي تمحورت سيرته حول قضية التحرر الاجتماعي وظلت حية في الوجدان الشعبي في العصور الاسلامية .

وبذلك فان ظاهرة الصعلكة الجاهلية في نزعتها الانسانية التقت مع ظاهرة العيارة والشطارة في المجتمع الاسلامي . وقد اعطى معظم الباحثين تفسيرا أو مضمونا انسانيا لكلتا الظاهرتين من حيث اللقاء والتداخل بينهما من ناحية ، والتواصل من ناحية اخرى ، لان الظاهرتين تحملان في طياتهما فكرة انسانية رددتها العامة في كلا

العصرين الجاهلي والاسلامي الوسيط ، في الحكايات والقصص . ولا شك أن هاتين الظاهرتين التاريخيتين والشعبيتين تعكسان طموحا أو حلما جماعيا لتحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية ، تتلاشى معه تلك الهوة السحيقة التي تفصل بين اقلية تملك معظم الثروة ، واغلبية ساحقة تعيش على الفقر والحرمان(١٦) .

وقد عبر أحد الصعاليك والعيارين عن المرارة التي تتفاعل في نفسه بسبب التفاوت الاجتماعي وضيق ذات اليد بقوله :

وإني لأستحيي من الله أن أرى   أجرجر حبلا ليس فيه بعير

وأن أسأل الخب اللئيم بعيره   وبعران ربي في البلاد كثير

ولذلك فان طائفة من الصعاليك ، وكذلك من العيارين والشطار قد بررت وسوغت لنفسها اللجوء الى السرقة ، واعتبرت ذلك موضع فخر واعتزاز ومؤشرا على البطولة ، وأن تقوم بذلك في رابعة النهار . وقال أحدهم :

معاذ الله أن أسرق بليل   ولكني أجاهر بالنهار (١٧)

ولذلك فان الصعاليك من قبل والعيارين والشطار من بعد ، باعلانهم التمرد على بعض طبقات المجتمع ، وعلى الذين استأثروا لأنفسهم بالسلطة او المال أو بهما معاً ، استهدفوا أن ينالوا بأسلوب غير شرعي ما يتصورون ويعتقدون أنه حق شرعي لهم . وسوف نجد أن ظاهرة التمرد هذه سوف تواجه بكل عنف وقسوة من السلطة القائمة، باعتبارها خروجا على القانون والسلطة الشرعية . ومن الطبيعي أن تشوه صورتهم من قبل مؤرخي السلطة الرسميين ، إما جهلا بأوضاع هذه الطبقة الاجتماعية المتردية أو ممالأة للسلطة القائمة . غير أن العيارين والشطار بالمقابل حظوا باعجاب العامة في عصرهم ، فتعاطفت معهم وأشادت بأفعالهم . وقد انتهى الارتقاء بالشطار والعيارين في التراث الشعبي الى مرتبة البطولة شبه ملحمية ، حتى رددت الالسنة أن اللص أحسن حالا من الحاكم المرتشي أو القاضي الذي يأكل أموال اليتامى(١٨) .

تطور ظاهرة العيارين والشطار حتى مطلع العصر العباسي :

ظاهرة العيارين والشطار ظاهرة عالمية لها بصماتها في المجتمعات الهندية والبابلية والفرعونية والعربية قبل الاسلام(١٩) . غير ان هذه الظاهرة كانت تتفاوت بين مرحلة وأخرى ، فتخبوا وتتلاشى حين تكون المجتمعات في حالة مد حضاري ،

وتظهر وتشتد حين تكون في حالة جزر . وهي عموما تنتعش في الحقب التاريخية التي تتعرض فيها المجتمعات للفوضى والتفكك والتجزئة ، وضعف السلطة المركزية أو التفاوت الاجتماعي الطبقي .

ففي العصر الجاهلي كما عرفنا كانت ظاهرة الصعلكة والشطارة وليدة الصراع الداخلي بسبب شح الموارد والفقر والجوع(٢٠) وما نجم عنه من فرز طبقة فقيرة معدمة لم تجد سوى الغزو والسلب والتلصص وسيلة لاستنقاذ نفسها من ذل الفاقة والحرمان ، مما دفعها الى التمرد . ولكن بعد أن أشرقت الجزيرة العربية بنور الاسلام تغيرت أوضاع الحياة العربية الاجتماعية والاقتصادية ولم يبق الصعلكة مكان فيها(٢١) وبخاصة في العهدين النبوي والراشدي ، بسبب ما نشره الاسلام من مبادىء سامية قائمة على العدالة ومبدأ تكافؤ الفرص ، ومسؤولية الامة عن أي حيف أو جور اجتماعي يقع على كاهل الفقراء والمعوزين .

وفي العصر الاموي وجهت طاقا تالامة نحو الجهاد ونشر الاسلام . ففضالة بن شريك مع أنه كان شاعرا فاتكا صعلوكا مخضرما أدرك الجاهلية والاسلام(٢٢) لم يصل الينا من شعره الا ما ورد من أخبار وأسماء اسلامية . وكان لابنه « فاتك » مركز اجتماعي مرموق في عهد عبد الملك بن مروان . وبرغم أن ثمة رواسب للصعلكة في شعر أبي خراش(٢٣) الاسلامي في تصويره للفقراء والجياع ذوي الثياب البالية ، فاننا نشهد صورة أخرى لتلك الحياة التي تغيرت ظروفها بسبب ما أحاط برقاب الصعاليك من ضوابط الدين الجديد . فلم يعودوا قادرين على المضي في حياتهم كما كانوا في الجاهلية، لأن مقياس الامور في ظل الحياة الاسلامية كان يقوم على الحق والعدل . ومع ذلك نجد رواسب تلك الحياة المتصعلكة التي أخلص لها أبو حراش في جاهليته اخلاصا عميقا ظلت آثاره تتسرب من حين لآخر في شعره الاسلامي . والجدير بالذكر أن ابنه حراش كان من أكثر المتحمسين للجهاد في سبيل الله .

ظاهرة العيارين والشطار في العصر العباسي الاول :

شهدت الدولة العباسية في عصرها الاول تغيرات شاملة في مختلف الميادين ، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ... وما نجم عن ذلك من بروز ظاهرة التفاوت الطبقي ــ الاقتصادي ، ما ولدته من ردود فعل ، كان ضمنها أولى بوادر ظاهرة العيارين والشطار . ونتلمس بدايات هذه الظاهرة منذ عهد الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ ــ ١٦٩هـ) . ويذكر البلاذري بوادر هذه الظاهرة في مقاطعة « سيسر » التي كان بها مروج لدواب الخليفة المهدي واغنامه بقوله : « فلما كثر الصعاليك والذعار

وانتشروا بالجبل في خلافة المهدي أمير المؤمنين ، جعلوا هذه الناحية ملجأ لهم وحوزا. فكانوا يقطعون ويأوون اليها ولا يطلبون لأنها حد همذان والدينور وأذربيجان . فكتب سليمان بن قيراط وشريك معه يقال له سلام الطيفوري بخبرهم وشكيا تعرضهم لما في أيديهم من الدواب والاغنام ، فوجه لهم جيشا عظيما وكتب الى سليمان وسلام يأمرهما ببناء مدينة يأويان اليها وأعوانهما ورعاتهما ، ويحصنان فيها الدواب والاغنام مما خافاه عليها. فبنيا مدينة « سيسر » وحصناها وأسكناها الناس ، ووليها عامل، وكان خراجها يؤدى اليه »(٢٤) . ويقول الفقيه الهمذاني في حديثه عن « سيسر » أحد رساتيق همذان بقوله : « ولم تزل سيسر وما ولاها مراعي لمواشي الاكراد وغيرهم . فلما كثر الصعاليك والدعار وانتشروا في الجبل في خلافة المهدي ، جعلنا هذه الناحية ملجأ لهم ، فكانوا يقطعون ويأوون اليه ، فلا يطلبون ..... فكتب سليمان وشريكه (صاحبا صحراء وقيراط بمدينة السلام) الى المهدي بذلك . فوجه اليهما جيشا عظيما ، وكتب اليهما فأمرهما ببناء مدينة يأويان اليها مع أغنامهما ورعاتهما مما خافاه عليها . فبنيا مدينة « سيسر » ، وحصناها وأسكناها الناس »(٢٥) .

ويذكر البلاذري(٢٦) أيضا أن الصعاليك كثروا في خلافة أمير المؤمنين الرشيد وشعثوا سيسر ، فأمر ببنائها وتحصينها ، ورتب فيها ألف رجل من أصحاب خاقان الخادم السعدي . وفي آخر أيام الرشيد وجه الى سيسر مرة بن مرة العجلي ، ولم يزل مرة يؤدي الخراج عن سيسر في أيام محمد بن الرشيد (الامين) الى أن وقعت الفتنة . ثم أخذت سيسر من عاصم بن مرة ،فأخرجت من يده في عهد المأمون، ورجعت الى ضياع الخلافة . فولى عليها المأمون قائدا يدعى همام بن هاني العبدي على أن يتعاون مع أهلها ويحصنها من غارات الصعاليك(٢٧) .

من خلال ما سبق عن بدايات ظهور الصعاليك والذعار في رستاق سيسر ، يتبين ان بوادر هذه الظاهرة كانت في مطلع العصر العباسي وفي شرق دار الخلافة . وأن هذه الظاهرة لم تكن تشكل خطرا كبيرا يهدد سلطة الدولة . وذلك لان الدولة كانت لا تزال قوية متماسكة ، وفي أوج مجدها السياسي والحضاري ، ولا تزال قبضتها قوية حتى على الاطراف. ولم تكن غاية الصعاليك والعيارين حتى عهد الرشيد سوى أن يتعرضوا لقافلة أو سفينة ، فيختلسوا على حين غرة الشيء الطفيف الذي يسد عوزهم .

دور العيارين والشطار في احداث الحرب بين الامين والمأمون :

نعود جذور الصراع على السلطة بين الامين والمأمون الذي استمر خمس سنوات سالت خلالها دماء أهل العراق وخراسان وانتهى بمقتل الامين ، الى ذلك القرار

السياسي الذي اتخذه الرشيد بتقسيم الخلافة بين أبنائه الثلاثة(٢٨) . وما ذهب اليه بعض المؤرخين المحدثين أمثال فلوتن وولهاوزن(٢٩) من تفسير عنصري لهذه الحرب ، وانها حرب فارسية عربية ، تفسير غير واقعي ، فالمأمون برغم أنه كان معه بعض العناصر الايرانية التي أسلمت حديثا مثل الفضل بن سهل ، فقد كان معه أيضا العديد من العرب ، كما كان في جيش الامين الى جانب العرب عناصر ايرانية ، مع أرجحية العنصر الفارسي عند المأمون والعربي عند الامين . كما أن الامين لم يحاول جذب العرب والتوسل بالنزعة العربية الا في فترة متأخرة من هذا النزاع ، مما أهاج عياري بغداد وشطارها للدفاع عنه في حصار بغداد ضد التيار الفارسي الذي يحيط بالمأمون.

ويرى المستشرق الفرنسي سورديل أن الدوافع الحقيقية للنزاع بين الامين والمأمون تكمن في اختلاف النزعة الدينية الفكرية لكلا المعسكرين(٣٠) ، الا انني أرى ان افضل تفسير لهذه الحرب أنها نزاع اقليمي بين العراق وخراسان على أيهما سيكون الاقليم المركزي للدولة يتمتع بامتيازاتها ، تماما كما ظلت بلاد الشام ناقمة على العباسيين منذ أن نقلوا عاصمتهم من دمشق الى الهاشمية ثم الى بغداد في العراق . وقد تمحور هذا التأقلم حول الفضل بن الربيع ممثل الكتلة العربية في بلاط الامين ، والفضل بن سهل ممثل الكتلة الفارسية في بلاط المأمون ، ولعبت الطموحات الشخصية لكلا الشخصين دورا بارزا في تأجيج مشاعر الاخوين ضد بعضهما البعض وتفجر الموقف الذي انتهى باجتياح طاهر بن الحسين قائد المأمون لمشرق العالم الاسلامي في طريقه الى العراق وقتل علي بن عيسى بن ماهان قائد الامين ، واحتلال معظم مدن العراق ، ثم محاصرة الامين في بغداد(٣١) .

والجدير بالذكر أن ظاهرة العيارين والشطار اخذت تلفت انظار المؤرخين منذ أن حاصر طاهر بن الحسين بغداد . وحين ضيق طاهر الخناق على مداخل المدينة من الشرق ثارت العامة فيها دفاعا عن الامين الخليفة الشرعي ، ويشير ابن الاثير(٣٢) أنه في سنة ١٩٦ هـ ثقب أهل السجون السجون ، وخرجوا منها ، وفتن الناس وساءت أحوالهم ، ووثب الشطار على أهل الصلاح . ويقصد بأهل الصلاح كبار التجار والاثرياء والقواد .

وسبب ثورة العيارين والشطار على التجار والاثرياء هو تخاذل هؤلاء في نصرة الامين حينما رميت بغداد بالمجانيق والعرادات في مطلع عام ١٩٧ هـ ودب فيها الخراب هدما وحرقا(٣٣) . وقد هرب معظم قواد الامين ، وتخاذل جنده واستسلم معظمهم . وكان عيارو بغداد وشطارها وعامتها وأوباشها وأهل السجون هم رموز موازرته والدفاع عن بغداد . وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير الطبري بقوله : « فذلت الاجناد ،

وتواكلت عن القتال ، الا باعة الطريق والعراة ، وأهل السجون والاوباش والرعاع والطرارين وأهل السوق »(٣٤) . وقد ذكرهم أيضا ابن الاثير وسماهم « الفوغاء والفساق »(٣٥) .

معركة قصر صالح :

أحكم طاهر بن الحسين حصار بغداد ، لكنه فشل في اقتحامها لضراوة مقاومة العيارين ، ويذكر الطبري ان ظاهرا ظل يقاتلهم لا يفتر ولا يمل ولا يني عن ذلك(٣٦) ولكنهم أعجزوه . وحدثت حول قصر صالح بين قواته والعيارين معركة من أشرس المعارك بين العرب والفرس واستمات العيارون في الدفاع عن المدينة والقصر . وبرغم أن قائد الامين الموكل بقصر صالح علي افراهمرد قد استسلم وسلم ما بيده الى جند طاهر ، وكذلك صاحب شرطته محمد بن عيسى — وكان مجدا في نصرته — كما استسلم اخرون ، الا ان الغواة والعيارين قاتلوا قوات طاهر قتالا شديدا داخل القصر . وقد اورد الطبري : « فلما استأمن هذان الى طاهر اشفى الامين على الهلاك، واقبلت الغواة من العيارين ، وباعة الطريق ، والاجناد ، فاقتتلوا داخل قصر صالح قتالا عظيما »(٣٧) . كما يذكر ابن الاثير انه قتل من اصحاب طاهر جماعة كثيرة، ومن قواده جماعة . ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر منها(٣٨) .

ويسترسل الطبري في وصف المعركة وضراوتها داخل القصر بين العيارين وقوات طاهر بن الحسين : « وقتل في داخل القصر ابو العباس يوسف بن يعقوب ومن كان معه من القواد والرؤساء المعدودين . وقاتل فراهمرد وأصحابه خارجا من القصر حتى فل وانحاز الى طاهر . ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها إشد على طاهر واصحابه منها ، ولا اكثر قتيلا وجريحا مقعورا من أصحاب طاهر من تلك الوقعة . فاكثرت الشعراء فيها القول من الشعر ، وذكر ما فيها من شدة الحرب» (٣٩) .

وقد اسفر ذلك عن تدمير بغداد واحتراقها لاول مرة في التاريخ ، وتعرض كل من جانبي المعسكرين الى حرق وتدمير من قبل الطرف الاخر . وقد رثى الشعراء بغداد رثاء يفيض ألما وحسرة على ما ألم بها من مصير ، وحتى احد شعراء العيارين الذين أطلق عليهم الطبري اسم « فتيان بغداد » رثاها بقصيدة نجتزىء منها(٤٠) :

بكيت دما على بغداد لما ... فقدت غضارة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور ... ومن سعة تبدلنا بضيق
أصابتها من الحساد عين ... فأفنت أهلها بالمنجنيق

فقــوم احرقــوا بالنــار قســرا ونائحة تنـــوح عــلى عريــق

وقــوم أخرجــوا من ظــل دنيــا متاعهـــم يبـــاع بكل ســوق

فــلا ولــد يقيــم علــى أبيـــه وقد هــرب الصديق بلا صديــق

ومهمــا أنســى من شيء تولــى فانــي ذاكـــر دار الرقيـــق

وقد تناول الحريمي وهو شاعر مأموني احداث بغداد ووصف ما جرى فيها بقصيدة طويلة من نحو مائة وخمسين بيتا أورد الطبري نصها كاملا في حين تركها ابن الاثير لطولها(٤١) وقد أنحى الشاعر باللائمة على الذعار والشطار والعيار وغيرهم ، وكان يرى أن دفاعهم عن بغداد هو الذي جلب لها الحرب والدمار . غير أنه لا ينكر أن المسؤولية تقع على الطرفين المتقاتلين . نجتزيء من هذه القصيدة بعض الابيات التي فيها ذكر للعيارين والشطار(٤٢) .

وصــار رب الجيــران فاســقهم وابتــز أمــر الــدروب ذاعرهــا

يحرقهـــا ذا وذا يهدمهـــــا ويشـــتفي بالنهــاب مشــاطرها

والكــرخ أســـواقها معـطلــة يســتن عيــارهــا وعاثــرهــا

كتــاب الهــرش تحــت رايتـــه ســـاعد طرارهـــا مقــامرهــا

خرجت الحــرب مــن أراذلهــم أســود غيــل علــت قســاورها

وهذه القصيدة تعكس رأي أنصار المأمون من خلال الشائعات التي روجوها بأن الامين وجنده والعيارين والشطار وغيرهم هم الذين أحرقوا مدينة بغداد . كما أن هناك قصائد أخرى تذهب هذا المذهب بوضع المسؤولية على الحركة الشعبية ومن يمثلها من الشطار والعيارين . من هذه القصائد قصيدة طويلة للشاعر البغدادي الاعمى الذي كان متعصبا للمأمون ومنها(٤٣) :

وصار رئيس القوم يحمل نفســه وصــار رئيسا فيهم كـل شاطر

بيد أن الطبري كان أكثر موضوعية وحيادا حين نسب ما حدث من سلب ونهب الى « اللصوص والفساق » دون أن يذكر العيارين بينهم ، فقال « وكان اللصوص والفساق يسلبون من قدروا عليه من الرجال والنساء والضعفاء من أهل الملة والذمة »(٤٤) .

وبرغم أن المسعودي(٤٥) فيما يروي يقرن بين العيارين و « من أهل السجون »، الا أن رثاء العيارين لمدينة بغداد يعكس مشاعر هذه الطائفة ومروءتها ، ولو كان العيار لصاً لما صدرت عنه مثل هذه الاقوال والافعال التي سنأتي على ذكرها ، والتي تفيض نبلا وعفة ومروءة . فالسطو على النساء لم يكن من شيم الشطار والعيارين ولذلك فان رواية الطبري تنطوي على اعجاب بهم خاصة عندما لاذ أكثر قادة الامين بالفرار أو آثروا السلامه بانضمامهم الى قوات طاهر بن الحسين ، وثبت العيارون والعامة من أهل بغداد واستماتوا في الدفاع عن بغداد ودحروا الجند الخراسانيين مرارا .

وليس أدل على اقدام العيارين والشطار وقوة بأسهم من هذه الحكاية التي أوردها الطبري(٤٦) والمسعودي(٤٧) وابن الاثير(٤٨) : « أن قائدا من قواد أهل خراسان ممن كان مع طاهر من أهل النجدة والبأس خرج يوما الى القتال ، فنظر الى قوم عراة، لا سلاح معهم ، فقال لاصحابه : لا يقاتلنا الا من أرى ؟ استهانة بأمرهم واحتقارا لهم، فقيل له : نعم هؤلاء الذين ترى هم الافة ، فقال أف لكم حين تنكصون عن هؤلاء وتخيمون عنهم ، وأنتم في السلاح الظاهر والعدة والقوة ، ولكم مالكم من الشجاعة والنجدة . وما عسى أن يبلغ كيد من أرى من هؤلاء ، ولا سلاح معهم ، ولا عدة لهم ، ولا جنة تقيهم . فأوتر قوسه وتقدم ، وأبصره بعضهم ، فقصد نحوه ، وفي يده بارية قصيرة ، وتحت ابطه مخلاة فيها حجارة فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استتر منه العيار ، فوقع في باريته أو قريبا منه ، فأخذه فجعله في موضع من باريته ، وقد هيأه لذلك ، وجعله شبيها بالجعبة . وجعل كلما وقع منه أخذه ، وصاح دانق ، أي أن ثمن النشابة دانق قد أحرزه ، ولم تزل تلك حالة الخراساني وحال العيار حتى انفد الخراساني سهامه ، ثم حل على العيار ليضربه بسيفه . فأخرج من مخلاته حجرا فجعله في مقلاع فرماه ، فما أخطأ به عينه ، ثم ثناه بآخر . فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحاميه ، وكرّ راجعا وهو يقول : ليس هؤلاء بانس ، قال : فحدثت أن طاهرا حدث بحديثه فاستضحك وأعفى الخراساني من الخروج للحرب » .

وكان طاهر بن الحسين اعرف بحقيقة هؤلاء العراة العيارين ، فهم وحدهم الذين أفقدوه خيرة جنده وقواده ، وحالوا دون سقوط بغداد بأيدي قواته ، في حين كان موقف تجار بغداد واثريائها متخاذلا ، لا يأبهون لسقوط المدينة . وهذه المواقف المتباينة جعلت أهل بغداد والعامة والمستضعفين فيها ينظرون نظرة ازدراء واحتقار لاغنياء بغداد وكبارها ، ونظرة تقدير واعجاب الى العراة العيارين ، الذين كانوا بنظرهم ابطال بغداد الحقيقيين ولو هزموا في النهاية . مدحهم أحد شعراء بغداد المجهولين(٤٩) في قصيدة منها :

ليس يدرون ما الفـرار اذا الابـ طال عاذوا من القنـا بالفــرار
واحـد منهـم يشد عـلى ألفـين عريــــان مــالـــه مـــن ازار
ويقــول الفتــى اذا طعن الطعـ نة : خذهــا مــن الفتى العيــار

وبرغم ان بعض قادة الامين وجنده تخلوا عنه واستسلموا ، ومنهم عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي واحوته وولد الحسن بن قحطبة ، ويحيى بن علي بن ماهان، ومحمد بن أبي العاص(٥٠) . الا أن ذلك لم يفت في عضد العيارين ، ولم يزدهـم الا تصميما على الدفاع عن بغداد . فواجه بعض قادة المأمون وخاصة عبد الله بن الوضاح و « هرثمة » هزائم منكرة على يدهم . وكان من غيظ جند هرثمة وصفهـــم بـ « اولاد الزنــا » في حين وصفهم بعض اصحاب هرثمة وقد داخله العجب في أمرهـم وقوة بأسهم بقوله(٥١) :

يفنى الزمـــان وما يفنى قتالهـم والدور تهـدم والامـوال تنتقص
يأتوننــا بحديــث لا ضيــاء لــه في كل يـوم لاولاد الزنــا قصص

لكن الغريب والملفت للنظر انه في الوقت الذي كانت بغداد تنهب أو تحرق على يد جند الامين تارة وبأمر منه(٥٢)، وعلى يد جند طاهر بن الحسين تارة وبأمر منه ،فان ذلك كان ينسب الى العيارين.ومع ذلك فان هؤلاء لم ينثن لهـم عــزم ، واستماتوا في الدفاع عن بغداد ، ومناصرة الامين حتى النهاية .

وقعة الكناســة :

يتلخص خبر هذه الوقعة كما ورد في الطبري(٥٣) في ان طاهر بن الحسين احاط بغداد بعدد من قواده، فجعل العلاء بن الوضاح في أصحابه على الوضاحية ، وجعل نعيم بن الوضاح فيمن كان معه من الاتراك وغيرهم على شاطىء الصراة . واســتمر القتال اشهرا حتى ان طاهرا باشر القتال بنفسه ، وقتل فيه عدد كبير من اصحاب الامين . وقد وصف هذه الوقعة الشاعر عمرو بن عبد الملك بقصيدة طويلة مطلعها :

وقعـــة يــوم الاحـــد صارت حديــث الابـــد
كــم جســد ابصرتـــه ملقى وكــم مــن جســد

وفي الابيات الاخيرة منها ندد باتباع الامين ومنهم العيارون بانهم بلا أصول وبلا قضية ، وان الامين لو انتصر لن يكترث بهم أو أن يلتفت اليهم :

من أنت يا ويلك يا مسكين من محمد

وقعة درب الحجارة :

وهذه الوقعة من الايام المشهودة بين قوات طاهر واتباع الامين الذين كان معظمهم من العيارين ، وكانت الغلبة فيها لاصحاب محمد علي أصحاب طاهر من الجند الخرساني(٥٤) ، قتل فيها اعداد غفيرة من اصحاب طاهر ، وندد شاعر مأموني في أعقابها باتباع الامين من العامة والعيارين في قصيدة منها(٥٥) .

وقعة السبت يوم درب الحجارة قطعت قطعة من النظارة
ذلك من بعد ما تفانوا ولكن أهلكتهم غوغاؤنا بالحجارة
أخرجته من بيتها أم سوء طلب النهب أمه العيارة
ليس هذا زمان كريم ذا زمان الانزال أهل الزعارة

وقعة باب الشماسية :

وهي من الايام الحاسمة الكبرى بين اتباع طاهر بن الحسين وبين العيارين والشطار والذعار انصار الامين ، وقد مرت بمراحل وكان فيها عدة جولات . كان على رأس قوات طاهر هرثمة بن اعين ، وعبيد الله بن الوضاح ، وأبرز قواد الامين حاتم ابن الصقر . وقد أوعد حاتم اصحابه الغزاة والعيارين أن يباغتوا عبيد الله بن الوضاح ليلا . فأوقعوا به وقعة وأزالوه عن موضعه وولى هاربا تاركا الخيل والسلاح والمتاع . وسيطر حاتم على الشماسية(٥٦) . فخف هرثمة بن أعين لنصرة ابن الوضاح فوافاه أصحاب الامين في جولة ثانية وتمكنوا من دحر قواته ، ووقع هرثمة نفسه في الاسر . لكن ما لبث ان خاصه احد جنده . وطارد أصحاب الامين فلول جيش هرثمة ، ولم يتمكنوا من استثمار هذا النصر بسبب حلول الليل ، وما شغلوا فيه من النهب والسلب(٥٧) . ولم يتمكن هرثمة من تجميع صفوف جنده الا بعد يومين . وقد نظمت اشعار كثيرة في هذه الجولة منها ما قاله عمرو الوراق شاعر طاهر بن الحسين يندد بالعيارين ويتهكم عليهم ويستخف بهم :

عريـــان ليســ بـذي قميص   يغـــدو على طلـــب القميصــ
في كفـــــه طـــــرارة   حمـــــراء تلمـــع كالفصــوص
حرصا عـــلى طلـب القتـــال   أشـد مـــن حرصـ الحريصـ

ولما بلغ طاهر ما صنع العراة وحاتم بن ابي الصفر بابن الوضاح وهرثمة ، اشتد عليه ذلك . فأمر بعقد جسر على دجله فوق الشماسية ، وعبأ أصحابه وخرج معهم الى الجسر استعدادا لجولة فاصلة . فعبروا اليهم وقاتلوهم أشد قتال حتى ردوا الى أصحاب الامين وأزاحوهم عن الشماسية ، واستردوا الاسرى وقتل من العراة بشرا كثيرة(٥٨) . وكما هي العادة فان عمرو بن الوراق شاعر طاهر بن الحسين نظم قصيدة في هذه المناسبة تهكم فيها على العيارين وسخر من سلاحهم وطبلهم نجتزىء منها بعض الابيات(٥٩) .

ضربـوا طبلهـم فثـــار اليهـم   كل صلـب القنـــاة والساعدين
او وزيـر أم قائد بـل بعيــــد   انت من ذين موضـع الفرقديـن
كم بصـــير غدا بعينين كي يبـ   ـصر ما حالهـم فعـاد بعين

ورغم أن هؤلاء العيارين بنظر هذا الشاعر لا يتطلعون الى مراكز قياديـة كالوزارة أو غيرها ، « اين من ذي موضع الفرقدين »، الا انهم استماتوا في مقاومة قوات طاهـر والدفاع عن بغداد ، وكان سلاحهم المسمى « المطرد » لا يخطىء ما يريدون ولا يصيب الا العينين .

وقد ترتب على هزيمة أصحاب الامين في الجولة الاخيرة من وقعة الشماسـية نتائج هائمة أبرزها أن الذعر والهلع دب في صفوف قواته ، ففر معظمهم الى المدائن . كما أدرك التجار والاثرياء ان لا أمل لهم في الامين وخافوا على أنفسهم من « الغوغـاء والسفلة » والعيارين. وتداعوا واتفقوا على مكاتبة طاهر بن الحسين للدخول في طاعته. وعلى تبروئهم ممن سموهم على حد تعبيرهم بالسفلة الذين ليست لهم في بغداد دور ولا عقار ولا مأوى سوى الحمامات والمساجد ، وقد برر هؤلاء موقفهم بأنهم لا طاقة لهم بهؤلاء الاوباش والعيارين ، وقد أورد الطبري(٦٠) النص الكامل للكتاب الذي وجهـه هؤلاء التجار الى طاهر بن الحسين . ومضمونه يدل دلالة واضحة على أن هذه الطبقة من الاثرياء كانت تسير وفق مصالحها ، اذ عندما كانت العامة ــ أو من يطلق عليهم الاثرياء اسم الاوباش وأهل السجون والعيارين ــ حماة بغداد وحماة هؤلاء الاثرياء من

هجمات قوات طاهر . هذا في حين تنصلت جماعة أخرى من الدخول في طاعة طاهر خوفا على أنفسهم وأموالهم من مطاردة من سموهم بالسفلة في بغداد : « والراي الا تشهروا أنفسكم بهذا ، فانا لا نأمن ان رآكم أحد من السفلة أن يكون به هلاككم ، وذهاب أموالكم والخوف من تعرضكم لهؤلاء السفلة أعظم من طلبكم براءة الساحة عند طاهر خوفا ، بل لو كنتم من أهل الاثام والذنوب ، لكنتم الى صفحه وتغمده وعفوه أقرب فتوكلوا على الله تبارك وتعالى وأمسكو ، فأجابوهم وامسكوا »(٦١) .

ومهما يكن الامر فانه من الطبيعي في حالة الفوضى والذعر التي أصابت بغداد أن تختلط الامور وتتعدد الولاءات ، وأن يبحث كل فريق عن النجاة بأية وسيلة . لذلك رأينا فريقا يطلب النجاة في موالاة طاهر ، وفريقا آخر يتخوف من عاقبة موالاة طاهر بأنها ستثير العامة والعيارين في بغداد ضدهم .

ومما زاد الامور تعقيدا واضطرابا أن طاهرا انتهج سياسة ماكرة ذكية وهي مراسلة بعض قادة الامين ورجاله ، يحذر هم من مغبة موقفهم ، وانه سيستولي على ضياعهم ، ففر معظمهم واستبقوا الاحداث وانضموا الى صفوف قوات طاهر ، بعد ان شاهدوا بأم أعينهم ان ميزان القوى يسير لغير صالح الامين، ثم ان طاهرا دعا العيارين أيضا وهم القوة الرئيسية التي بقيت تناصر الامين وتذب عن بغداد بقوة واخلاص ، دعاهم للكف عن القتال والاستسلام ، له على أن يؤمنهم علىأرواحهم . فرفضوا على الرغم من هزائمهم المتوالية(٦٢) . وقد عبر عمرو الوراق عن هذا الموقف بقصيدة منها :

نادى منادي طاهر عندنا ... يا قوم كفوا واجلسوا في البيوت

فثارت الغوغاء في وجهه ... بعد انتصاف الليل قبل القنوت(٦٣)

والذي ينبغي أن يسجل في هذا المقام أمران ، الاول : ان العيارين صمدوا صمود الابطال في الدفاع عن بغداد مؤمنين بعدالة قضيتهم ، رغم ما كال لهم خصومهم من تهم وما أثاروا حولهم من شكوك وشبهات ، وما وجه لهم من تحقير وسخرية . ولولا ايمانهم بعدالة قضيتهم لما استماتوا في حرب طاهر بن الحسين من بيت لبيت ومن شارع لشارع(٦٤) . وكان بمقدورهم لو كانوا لصوصا ، ان يهربوا ويستنفذوا ارواحهم وهم ـ كما وصفهم بعض تجار بغداد ـ لا دور لهم ولاعقار . ولا يسعنا الا القول بان هؤلاء العيارين كانوا يحاربون عن بغداد العربية في وجه ما اعتقدوا انه سيطرة فارسية استظلت بالمأمون في سبيل استئصال شرعية الخلافة ممثلة بالامين.

والثاني : ان أثرياء بغداد وكبار تجارها وبعض قادتها كشفوا عن حقيقة موقفهم بعد أن انقلبت نتائج الحرب لصالح المأمون ، فتخلوا عن الامين الخليفة الشرعي من ناحية ، وتنصلوا من الغوغاء والسفلة والعيارين ، الذين سبق أن دافعوا عنهم وحموا أموالهم ودورهم من ناحية أخرى . وبذلك انكشفت النوايا وتحددت المواقف ، بعد ان اتضحت هزيمة العيارين . وهذه المواقف تنطوي على نزعة طبقية من قبل الاثرياء وكبار التجار على اعتبار انهم يمثلون فئة اجتماعية تنظر بمنتهى الازدراء والتحقير للعيارين وأمثالهم ، اضافة الى ان هذه الطبقة يهمها بالدرجة الاولى ان تحافظ على مصالحها المادية والاقتصادية . وقد عبر احد شعراء طاهر عن هذا الاتجاه بقوله(٦٥) .

أي دهر نحن فيه	مات فيه الكبراء
هذه السفلة والغو	غاء فينا أمناء

وقد أسفرت المعارك عن رجحان كفة قوات طاهر وانهيار المقاومة في صفوف الامين . وأصيب الناس بالهلع والجوع لشح الموارد وارتفاع الاسعار . وزاد الطين بلة ان جند المأمون احرقوا المنازل ، ومنها منازل الامين بالخيزرانية(٦٦) ، التي انفق على بنائها عشرين مليون درهم . وكانت سقوفها مرصعة بالذهب . وفي عام ١٩٨ هـ ضعف أمر الامين وأيقن بالهلاك ، ووجه التهم لاحد قادته البارزين وهو عبد الله بن خازم بن خزيمة ، وتحامل عليه السفلة والغوغاء على حد تعبير الطبري(٦٧) مما حمله على مكاتبة طاهر والهرب مع أسرته الى المدائن . وعندما أحكم الحصار على بغداد وضاقت الحال أوعز الامين الى قائد من قواده يقال له ذريح أن يتعقب اصحاب الاموال والودائع والذخائر من أهل الملة(٦٨) ورفده بشخص عرف بالهرش . فكانا يهجمان على الناس ويأخذان اموالهم بالظنة . فتجمعت اموال كثيرة ، ولكن العواقب كانت وخيمة ، اذ فر معظم الناس من بغداد بعلة الحج(٦٩) فاضطرب الامر ، وعمت الفوضى وتأزم موقف الامين .

هذه الاوضاع المتردية كانت ايذانا بالمعركة الفاصلة بين الفريقين في جزيرةالعباس وذلك أن الهرش ومن معه من العيارين خرجوا الى هذه الجزيرة ، فتصدى لهم اتباع طاهر وحصل اقتتال شديد كانت الغلبة فيه للعيارين . ولكن طاهرا أمد اصحابه في اليوم التالي بجند كثيف ، فدارت الدائرة على العيارين وقتل منهم اعداد غفيرة ، ولاذ الباقون بالفرار(٧٠) .

وأصيب الامين في أعقاب ذلك باحباط شديد ، ونسب اليه انه قال : « وددت ان الله قتل الفريقين جميعا ، فأراح الناس منهم ، فما منهم الا عدو لي ، أما هؤلاء فيريدون مالي ،وأماأولئك فيريدون نفسي »(٧١) . وبذلك ضعف امر الامين ، وتفرق جنده ، وأيقن بظفر طاهر به .

الا أن اعدادا غفيرة من الصعاليك والعيارين ظلت موالية للامين حتى اللحظات الاخيرة من حياته وتذكر المصادر ان الامين حين هم لخمس ليال بقين من محرم عام ١٩٨هـ بتسليم نفسه الى القائد المأموني هرثمة بن أعين دخل اليه الصعاليك من أصحابه ، وهم فتيان الانبار والجند فقالوا له(٧٢) : يا أمير المؤمنين ، ليس معك من ينصحك ، ونحن سبعة الاف رجل مقاتلة(٧٣) ، وفي اصطبلك سبعة الاف فرس (يحمل كل منا على فرس) ونفتح بعض ابواب المدينة ، ونخرج في هذه الليلة ، فما يقدم علينا احد الى ان نصير الى بلد الجزيرة وديار ربيعة ، فنجتبي الاموال ، ونجمع الرجال ، ونتوسط الشام ، وندخل مصر ، ويكثر الجيوش والمال ، وتعود الدولة مقبلة جديدة ، فقال : هذا الله بالرأي ، فعزم على ذلك وهم به وجنح اليه . وكان لطاهر في جوف دار الامين غلمان وخدم من خاصة الامين يبعثون اليه بالاخبار ساعة ساعة . فخرج الخبر الى طاهر من وقته . فخاف طاهر ، وعلم انه الرأي ان فعله ، فبعث الى بعض قواد الامين مهددا « ان لم تزيلوه عن هذا الرأي لاخربن دياركم وضياعكم ولازيلن نعمكم ، ولاتلفن نفوسكم ، فدخلوا على الامين . في ليلتهم فأزالوه عن هذا الرأي. وأتاه هرثمة في الحراقة الى باب خراسان ، فدخل الامين الحراقة ، وكان يرتاح الى هرثمة ، غير ان طاهر نمي اليه خروج الامين ، فبعث ببعض رجاله فدفعوا الحراقة فانقلبت بمن فيها ، فنجا هرثمة وألقي القبض على الامين ، فقتله جند المأمون .

وكان العيارون قد حذروا الامين من الاستسلام ، وقالوا : « حرب من الداخل وحرب من الخارج »(٧٤) . بمعنى أن بطانة الامين وبعض قادته عندما هددهم طاهر وأرغمهم على حمل الامين على عدم الخروج مع الصعاليك والعيارين ، كانوا أشد حربا عليه من جيوش طاهر التي تطوقه من الخارج ، وبوادر الخيانة التي ظهرت بفترات متعاقبة من حصار بغداد ، وآخرها هذه الخيانة .

ولكن ، ماذا كان مصير هؤلاء العيارين والشطار والصعاليك الذين أدينوا من السلطة العباسية في ظل الحكم الجديد ، كما أدينوا من كبار التجار والاثرياء ؟ سوف يسكت صوت هذه الحركة الشعبية الاجتماعية الثائرة نسبيا مدة نصف قرن . ولكن صوت العيارين عاد فارتفع من جديد عندما بدأ قتل الخلفاء على يد القادة الترك ابتداء من عصر المتوكل ومرورا بقتل المنتصر والمستعين ، وما نجم عن ذلك من فوضى واضطراب . حتى أن الخليفة المتوكل عندما أراد أن يعزز موقفه ضد النفوذ التركي شكل فرقة عسكرية جديدة تتكون من (١٢) ألفا من العرب والصعاليك(٧٥) . وواجهت هذه الفرقة مؤامرات القيادة التركية . ونجد صوتهم مرتفعا أيضا ابتداء من عصر المعتضد العباسي عندما بدات قبضة الدولة تتراخى(٧٦) ، والظاهرة تتنامى في فترات الفوضى والاضطراب عام ٣١٥هـ في عهد المقتدر(٧٧) ، وأمرهم يتفاقم كلما ضعفت

الحكومة كما في الفترة بين مقتل بجكم التركي(٧٨) ودخول بني بويه الى بغداد (٣٢٩ ـ ـ ٣٣٤ هـ) . والملفت للنظر أن ظاهرة الشطار والعيارين كانت تجد تعاطفا كبيرا في أوساط العامة في بغداد ، حتى أن العامة ربطوا بين سقوط « قبة بغداد » وغضب السماء على الامة بما اجتاح بغداد من عواصف وأمطار غزيرة(٧٩) .

ويستقرأ من انتعاش ظاهرة العيارين والشطار أنها تزامنت مع محاولات قوى خارجية للسيطرة على بغداد العربية وخلفائها العباسيين الهاشميين ، كما حدث ابان الفتنة بين الامين والمأمون أو سيطرة القادة العسكريين الترك على مقدرات الخلافة أو قدوم عنصر بويهي جديد حل محل المؤسسة العسكرية التركية المنهارة .

تنظيمات العيارين ودستورهم الاخلاقي :

انفرد المسعودي(٨٠) بالاشارة الى تنظيمات العيارين والشطار وأهل السجون في معرض حديثه عن مقاومتهم لجيش هرثمة بن أعين بقوله : « انه ما كاد هرثمة ينصب المنجنيقات على بغداد ويأخذ لنفسه عشر ما في السفن من أموال التجار الواردة من البصره وواسط ، الامر الذي تأذى منه الناس ، وصعد نحوه من العيارين وأهل السجون وكانوا يقاتلون عراة في أوساطهم التبابين والمبارز ، وقد اتخذوا لرؤوسهم دواخل من الخوص ، وسموها الخوذ ،ودرقا من الخوص والبواري قد قيرت وحشيت بالحصى والرمل ، على كل عشرة نقباء قائد ، وعلى كل عشرة قواد أمير ، ولكل ذي مرتبة من المركوب على مقدار ما تحت يده ، فالعريف له أناس مركبهم غير ما ذكرنا من المقاتلة ، وكذلك النقيب والقائد والامير ، وناس عراة قد جعل في أعناقهم الجلاجل والصوف الاحمر والاصفر ، ومقاود قد اتخذت لهم ولجم وأذناب من مكانس ومذاب. فيأتي العريف وقد أركب واحدا وقدامه عشرة من المقاتلة على رؤوسهم خوذ من الخوص ، ودرق البواري . ويأتي النقيب والقائد والامير كذلك . فتقف النظارة ينظرون الى حربهم مع أصحاب الخيول .. والدروع والتجافيف والسواعد والرماح والدرق . فهؤلاء عراة ، وهؤلاء على ما ذكرنا من العدة ، فكانت العراة على زهير . وأتاه المدد من هرثمة ، فانهزمت العراة ، ورمت بهم خيولهم ، وتحاصروا جميعا ، وأخذهم السيف ، فقتل منهم خلق ، وقتل من النظارة خلق » .

والجدير بالذكر أن هذا التنظيم شبه العسكري كان شأنهم في كافة حروبهم ، ان مع الامين ، أو في الازمات اللاحقة في العصر التركي أو البويهي . وقد وصفهم المسعودي في أكثر من موضع ووصف اسلحتهم واعلامهم وأبواقهم ، فهم من العراة أصحاب مخالي الحجارة والآجر ، وخوذ الخوص ، ورماح القصب ، وأعلام الخرق وقرون البقر(٨١) .

ويشير المسعودي الى اعدادهم في احدى المعارك بقوله : « وثارت العراة ذات يوم في نحو مائة ألف بالرماح والقصب ، والطرارات من الفراطيس على رؤوسها ، ونفخوا في بوقات القصب ، وقرون البقر ، ونهضوا مع غيرهم من المحمدية (جند الامين) ، وزحفوا نحو المأمونية(٨٢) (أصحاب جيش المأمون) . وهناك تشابه واضح بين تنظيمات العيارين في الحرب بين الامين والمأمون ، وتنظيماتهم في الفتنة بين المستعين والمعتز . يقول المسعودي : « وقد كان لأهل بغداد في أيام حرب المستعين والمعتز نحو هذا من خروج العيارين الى الحرب ، وقد اتخذوا خيلا منهم وأمراء ، كالملقب بنينويه خالويه، وغيرهم ، يركب الواحد منهم على واحد من العيارين ويسير الى الحرب في خمسين الف عراة »(٨٣) .

ان هذا العدد الكبير من العيارين في مواجهة أعداء السلطة الشرعية القائمة ، سواء في عهد الامين أم في ظل الفوضى العسكرية والتركية او البويهية ، يضعنا أمام تساؤل خطير ، وهو مصداقية ما ألصق بهم من تهم ، وانهم ليسوا سوى مجموعة من اللصوص والحرامية والذعار . فلو كانوا لصوصا ما أصروا على المقاومة حتى النهاية وقد قتل منهم في مذبحة واحدة زهاء عشرة آلاف . وكان بامكانهم أن ينجوا بأرواحهم لو لم تكن لديهم بواعث كبيرة واهداف سامية يحاربون من اجلها ، بوسائل بدائية ، جيشا منظما ومسلحا تسليحا قويا ، وكان بامكانهم أن يستنقذوا انفسهم بما عرض عليهم من أمان. اضافة الى بعض الشواهد التي تدل على أن حركتهم تنطوي على غايات كبيرة.

فقد ورد ان احد الشطار تستر على ابراهيم بن المهدي واخفاه في بيته . ورفض افشاء سره وتسليمه لقاء الجائزة التي أعلنها ابن أخيه الخليفة المأمون ، ومقدارها الف دينار لمن يدل عليه أو يسلم رأسه(٨٤) .

نستطيع أن نكوّن فكرة عن دستور العيارين وأخلاقياتهم مما كتبه أبو القاسم الراغب الاصفهاني عن التلصص وما يجري مجراه(٨٥) وشيئا من أحاديثهم ووصاياهم، وما نقله عن الجاحظ في بضع فقرات من « وصية عثمان الخياط للشطار اللصوص ». بالاضافة لما ضمنه الجاحظ نفسه في كتابه « الحيوان »(٨٦) عن الوصية ذاتها . وعثمان الخياط يعد زعيم اللصوص الفكري ، لانه هو الذي وضع الاسس والمبادىء الحرفية والاخلاقية التي ينبغي أن يتصف بها اللصوص ، ونسب اليه انه قال : « ما سرقت جارا ، وان كان عدوا ، ولا كريما ، ولا كافأت غادرا بغدره(٨٧)». ومن وصاياه لأصحابه: « اضمنوا لي ثلاثا أضمن لكم السلامة : لا تسرقوا الجيران واتقوا الحرم ، ولا تكونوا اكثر من شريك مناصف ، وان كنتم اولى بما في أيديهم لكذبهم وغشهم وتركهم اخراج الزكاة ، وجحودهم الودائع » .

وذكر الاصفهاني أيضـــا أن سليمان وكان أجلد عصابـــة العيارين « خرج ليلـــة بأصحابه الى دار بعض الصيارفة ، فاختفوا ، فلمـــا أرادوا الانصراف ، قـــال بعض أصحابه : دعنا نقم على مفارق الطرق لنأخذ من بعض المارة نفقة يومنا ، فقال : علـــى أن لا تبطشوا بهم . فقالوا : وهل يفعل ذلك الا الجبان . فبينما هم كذلك اذ مر شاب ذو هيئه . فلما قرب سلم عليهم ، فرد عليه بعضهم السلام ، فقام اليه بعضهم ،فقال رئيسهم : دعه فانه سلم ليسلم ، واجابه بعضكم فصار له ذمة بذلك ، قالوا فنخلي سبيله ، قال : أخاف عليه غيركم ، ليذهب معه ثلاثة يوصلونه الى منزله ، ففعلوا ، فلما بلغ دفع لهم مالا وقال : لاحوطنكم بمالي وجاهي لما عاملتموني به . فلما عادوا بالدراهم قال رئيسهم : هذا أقبح من الاول تأخذون مالا على قضاء الذمام والوفاء بالعهد ، لا ابرح أو تردوا اليه المال : فقالوا : قد افتضحنا بالصبح . فقال : لئـــن نفتضح بالصبح خير من تضييع الذمام وقال : ما خنت ولا كذبت منذ تفتيت»(٨٨).

أما الجاحظ في كتابه « اللصوص » فقد سرد نوادر اللصوص الشطار وطرائفهم وحيلهم ولطائف خدعهم . وهو بذلك يقدم فلسفة هؤلاء اللصوص ، ودوافعهم الكامنة وراء شطارتهم ، وما يسبغونه على سلوكهم من شرعية . فقد ضمن القاضي أبو علي المحسن التنوخي في كتابه « الفرج بعد الشدة » بعض ما ذكره الجاحظ في «اللصوص» عنهم . ومن ذلك قوله عن بعضهم : « ان هؤلاء التجار خانوا اماناتهم ، ومنعـــوا زكاة أموالهم . فصارت أموالهم مستهلكة بها . واللصوص فقراء اليها . فاذا اخـــذوا أموالهم ــ وان كرهوا أخذها ــ كان ذلك مباحا لهم . لان عين المال مستهلكة بالزكاة . وهؤلاء يستحقون اخذ الزكاة بالفقر . شاء ارباب الاموال ام كرهوا»(٨٩) .

ويستدل من استجواب التجار من قبل العيارين والشطار انهم بالفعل لا يزكون أموالهم رغم غناهم .

يتضح من خلال هذه الوصايا ، ومن اخبار العيارين ان العيار يخون او يكذب منذ ان صار من اللصوص الفتيان . والسرقة بنظرهم هي سرقة كبار الاغنياء والبخلاء وغيرهم ممن لم يخرج زكاة او يغش او يكذب في معاملات الناس او يجحد الودائع . فتلك في رأيهم هي اللصوصية الحقيقية . اذن المروءة والقيام بالفتوة هي من شـــيم هؤلاء اللصوص والسرقة في عرفهم عملا مشروعا مادام يتم من خلالها استعادة مال اللـــه (الزكاة) من الفجرة والبخلاء ، واعادة توزيعه على مستحقيه الشرعيين مـــن وجهة نظرهم(٩٠) .

الخلاصة :

في ضوء ما سبق عرضه من بدايات ظاهرة الشطار والعيارين في العصر العباسي الاول وتبلورها بشكل واضح في احداث الحرب بين الامين والمأمون ، ثم خفوت صوتها بعد ذلك لتظهر في حقب الاضطراب والفوضى الاجتماعية والسياسية والعسكرية في العصر العباسي الثاني (التركي) . وفي العصر العباسي الثالث (البويهي) . ومن خلال ممارسات أفراد هذه الطبقة من العيارين والشطار والدستور الاخلاقي الذي التزمت به الغالبية لتسويغ ما تمارسه من أعمال اللصوصية أو لاضفاء الشرعية على استخدام وسائل غير شريفة لتحقيق غايات سامية نبيلة ، وهي استعادة ما كان قد سلبه الاغنياء من حقوق الفقراء ممثلا بالزكاة ـ الفريضة المعطلة ـ بنظر هؤلاء العيارين . وان انتزاع هذه الاموال من أيوي المترفين واعادة توزيعها توزيعا عادلا على الفقراء والمعوزين أمر يقع داخل دائرة الواجب الديني .. من خلال ذلك كله يمكن ان نجمل اسباب بروز هذه الظاهرة في المجتمع الاسلامي ابتداء من العصر العباسي الاول، وان نضع تقييما شاملا لها .

ان بروز ظاهرة الشطار والعيارين كان نتيجة طبيعية لما آل اليه المجتمع الاسلامي في بغداد من تمايز طبقي وتباين اقتصادي . حيث عاش الامراء والقواد والاثرياء ، في مجتمع بغداد من قبل وفي مجتمع القاهرة والشام من بعد ، في غاية الغنى والترف . في حين كان العامة والعاطلون عن العمل ، واصحاب الحرف المحقرة يعيشون في اقصى درجات الفقر والحرمان . وكان هذا التباين بين من يموتون من التخمة ومن يموتون من الجوع وسوء التغذية يزداد عمقا ، في ظل الصراعات المذهبية ، او التكتلات القومية (الشعوبية) ، أو الخلل الاقتصادي والتمزق السياسي ، ومن الطبيعي ان يترافق ذلك باضطرابات وفوضى ، وضعف سلطة الدولة ، وبالتالي اختلال الامن . فظاهرة العيارين والشطار اذن هي وليدة المجتمع. واحدى افرازات التباين الطبقي الاقتصادي التي صاحبها بالضرورة اختلال الامن ، مما انعش اللصوصية الفردية ، التي ما لبثت أن تحولت الى عمل شبه جماعي منظم ومدروس وله قواعد وقيم وتقاليد . ولكن ينبغي بالمقابل ان لا نغمض اعيننا عن الوجه الاخر وهي اللصوصية الرسمية أو لصوصية بعض الجند والقادة وأصحاب السلطة في ظل ظروف الفوضى وغلبة العسكر على مقاليد الامور لتصبح بغداد مرتعا خصبا للفتن والقلاقل والاضطرابات . فكان العسكر أول من يعبث فيها فأخربوا البلاد ، ونهبوا العباد ، وقطعوا الطرق على حد تعبير الطبري وابن الاثير .

وكان العامة هم ضحية هذه الاوضاع السياسية المتردية في أرجاء الدولة ،وتقع

المسؤولية ابتداء على عاتق الدولة ، لانها لم تكن جادة في الحد من التفاوت في الملكية والثروة بالطرق المشروعة لضمان حقوق وواجبات كافة الطبقات الاجتماعية ، ولتوفير الحد الادنى من متطلبات الحياة للفقراء . لذلك كان المناخ مواتيا في ظل هذه الظروف لازدهار حركة الشطار والعيارين في بغداد . خاصة وان بغداد اكبر عواصم الدنيا ، تستقطب افواجا كبيرة من المهاجرين ، وجلهم من الطبقات الفقيرة الباحثة عن عمل. فظهرت فيها تجمعات بشرية يسودها الفقر والقذارة وعصابات اللصوص والعيارين هي من افرازات هذه الطبقات(٩١) . وكلما تعسفت الدولة العباسية في كبح جماح اللصوص ، كلما تفنن هؤلاء في ايجاد الوسائل للتمرد او الثورة على الاغنياء . ومع مرور الايام اصبحت اللصوصية الفردية بتنظم جماعي له قوانين ودستور اخلاقي واعراف وتقاليد ، وسوغت لنفسها ما تقوم به لصوصية لاضفاء الشرعية على هذه الاعمال حتى من ناحية دينية . ثم ما لبثت ان تحولت الى حركة شعبية بمن انضم اليها من اهل الاصناف والصنائع والحرف الصغيرة ، وهدفهم الاساسي موجها للتجار الموسرين(٩٢) ومن يحميهم من رجال السلطة . وكان من شيمهم الا يتعرضوا لاصحاب البضائع القليلة التي تكون قيمتها دون الف درهم فضلا عن احترامهم للمراة، فلا تفتش ولا تسلب ولا تهان .

والجدير بالذكر ان طبقة العيارين والشطار لم تشكل حركة سياسية كالزنج او القرامطة ، لانه لم يخطر ببالهم اساسا قلب نظام الخلافة ، او الثورة على الخليفة الشرعي ، لذلك رأيناهم مع الخليفة الشرعي « الامين » ضد من ارادوا أن يطيحوا به . وكذلك الامر عندما ثاروا على الترك أو البويهيين كانوا مع الخليفة ضد خصومه . وجل ما كانوا يتطلعون اليه هو ان يحظوا في تحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية التي يحلم بها هؤلاء المحرومون . واذا كان خصومهم السياسيين ومن شايعهم من المؤرخين الرسميين ، قد شوهوا غاياتهم النبيلة ، وان انتفاضتهم لم تكن سوى « انتفاضة حرامية »، ففرغوا بطولاتهم حتى في وقوفهم مع الامين ضد قوات طاهر بن الحسين من أي مضمون سياسي . الا ان خصومهم لم يستطيعوا بنظر جمهور العامة ان يسلبوهم الجانب البطولي في مقاومتهم لجيش طاهر، على اعتبار انه في نظرهم ، جيش فارسي جاء ليطيح بالخلافة العربية الهاشمية ولكن الذي ينبغي أن يسجل أيضا هنا هو انه يجب أن لا يظن ان كل الشطار والعيارين كانوا ابطالا او شرفاء ، وان جميع حركاتهم كانت انتفاضات ثورية واعية او ذات غايات نبيلة . اذ ان معظم الثورات الاجتماعية يندس فيها كثير من المشبوهين ، واصحاب المصالح . فما بالنا اذا كا نابطال مثل هذه الانتفاضات هم من الشطار والعيارين اساسا . بل نجد اكثر من هذا ان بعض ذوي النفوذ والسلطة من الحكام

كان متواطئا مع حركة الشطار والعيارين(٩٢) بمعنى أن بعض افرادها كانوا أدوات بيد السلطة العباسية وكانوا يتقاسمون ما يسلبونه مع بعض افرادها .

ومجمل القول اننا عند دراسة ظاهرة الشطارة والعيارة لا نجد انفسنا أمام نوع من اللصوص بالمعنى التقليدي ينبغي أن تطبق عليهم الحدود الشرعية او الوضعية . ولكننا نجد أنفسنا أمام نوع جديد من اللصوص هم ثوار لم يستهدفوا الثورة ضد الخلافة الاسلامية أو النظام نفسه ، بقدر ما استهدفوا الثورة على الواقع الاجتماعي او القائمين على النظام وذلك عن طريق احتراف اللصوصية والعيارة(٩٤) وليس من شك أن هذه الحركة لجأت الى أساليب متطرفة وغير مشروعة . لكنها وجدت ما يبرر سلوكها في وضعها الاجتماعي والفقر والحرمان الذي تعاني منه من ناحية . وفي تعسف السلطة القائمة بما مارسته من ظلم وقسوة من ناحية أخرى(٩٥) دون أن تلتفت الى حل مشاكل الطبقات الفقيرة الذي هو أحد واجبات السلطة الرئيسية .

الحواشـــي :

(١) انظر المعاجم اللغوية ومنها : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة عير .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة شطر .

(٣) يقال : زعر ريشه أي قل وتفرق فانكشف الجلد . وزعر الرجل : قل خيره . والازعر وجمعه زُعر وزعران تعني اللص الخاطف المارد . والزعارة شراسة الخلق . وأهل الزعار تعني العيارين الذين يترددون بلا عمل ويطلقون للنفس هواها وعنانها . وتحمل مادة « ذعر » و « دعر » في المعاجم اللغوية المعنى نفسه . واما العياق فأصلها عاق . وعاق فلان اي صرفه عما اراد وحبسه عنه والعائق الذي يعوق الناس عن عمل الخير . ورجل عائق هو المانع الذي يعوق الطريق ويقطعه عن الناس . انظر : مادة عوق في المعاجم اللغوية. – واما الحرافيش فمفردها حرفوش وتعني ذميم الخلق والخلق وهو القاتل أو اللص. (المعاجم اللغوية ، ومعجم دوزي) مادة « حرفش ».

(٤) انظر : مادة « صعلك » في لسان العرب لابن منظور . فالصعلوك لغة هو الفقير الذي لا مال له ، غير أن أبا زيد القرشي صاحب كتاب « جمهرة انساب العرب » ص : ١١٥ يصف الصعلوك بأنه الفقير المتجرد للغارات . ولعل القرشي هو ادق من عرّف معنى الصعلوك . والجدير بالذكر أنه حتى عروة بن الورد سيد الصعاليك كان فقيرا مثل الصعاليك الذين كانوا يترددون عليه ويأوون اليه (التبريزي: شرح حماسة أبي تمام : ٩/٢) والصراع الداخلي بين القبائل في الجاهلية يرجع في بعض الاحيان الى الفقر والجوع . انظر : (الاصفهاني في حديث الاصمعي في الاغاني : ٣٩/١٤) . كما يقرر علماء الاجتماع أن الجوع هو أول الدوافع المسيطرة على حياة الانسان.

(٥) انظر تفسير هذه الظاهرة في : يوسف خليف: الشعراء الصعاليك ، مكتبة غريب ، القاهرة ص ٦٠ وما بعد .

(٦) السيوطي ، القاهرة ١٣٢٥هـ ، المزهر : ٢٦٩/٢ .

(٧) المصدر نفسه : ٢٦٩/٢ .

(٨) إنظر :

E.R. Groves, **Personality and Social Adjustment.** U.S.A. P. 193 .

وانظر :

Mac, Iver, Society . New York. 1944 .

(٩) انظر : خليف ، ص ٣١٨ وما بعدها .

(١٠) الاصفهاني : الاغاني ، القاهرة ١٩٣٦ ، ٧٣/٣ وما بعدها .

(١١) القرشي : جمهرة أنساب العرب ، ص١١٥ .

(١٢) ابو عبيدة البكري ، الامثال ، تحقيق : احسان عباس . مطبوعات جامعة الخرطوم/ ١٩٥٨ ، ص ١٥٣ .

(١٣) عمر رضا كحالة ، دراسات إجتماعية في العصور الاسلامية ، دمشق ١٩٧٣ ، ص٣٠ .

(١٤) سيد حنفي ، الفروسية في العصر الجاهلي ، دار المعارف / القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٦٠ .

(١٥) خليف ، ص ٣١٨ .

(١٦) محمد رجب النجار ، حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون ـ الكويت ١٩٨١ ، ص١١٥ .

(١٧) ابن قتيبة : عيون الاخبار : ١٧٨/١ . وانظر: الابشيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ٢٢٤/١ .

(١٨) الراغب الاصفهاني : محاضرات الادباء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ ، ١٩١/٣ .

(١٩) Oleary (Delacy) , Arabia before Muhammad, London 1927, p 3

وانظر : كرات (الكسندر هجرتي) ، علم الفولكور ، ترجمة رشدي صالح ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ .

وانظر :

Muir, (Sir William), **The Life of Mohammed,** Edniburg 1912, p. Xc.

(٢٠) الاصفهاني ، الاغاني ، ٣٩/١٤ ـ (حديث الاصمعي) .

(٢١) خليف ، ص ٢٤٧ .

(٢٢) الاصفهاني ، الاغاني ، ١٧١/١٠ (بولاق) .

(٢٣) ابن الاثير ، اسد الغابة ، الوهبية ، القاهرة ١٢٨٠هـ ، ١٧٨/٥ .

(٢٤) البلاذري : فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ٣٠٣ .

(٢٥) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان، نشر دي غويه، بريل ليدن ١٨٨٥م ، ص٢٤٠ .

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠٤ .

(٢٨) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص١٦٨ وما بعدها .

عبد المنعم ماجد ، اضواء على البرامكة ، الموسم الثقافي في بغداد ١٩٧٣ م .

(٢٩) انظر : فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، المطبعة الاردنية ، عمان ١٩٨٢ ، ٣٥/٣ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

(٣١) الطبري ، تح. محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ٤٤٥/٨ .

(٣٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٥ ، ٢٦٩/٦ .

(٣٣) المصدر نفسه ٢٧٢/٦ . وانظر المسعودي: مروج الذهب، دار الاندلس ، بيروت ١٩٦٦، ٤١٥/٣ والطبري ٤٥٠/٨ وما بعدها .

(٣٤) الطبري ، ٨/٤٤٨ .

(٣٥) ابن الاثير ، ٦/٢٧٣ .

(٣٦) الطبري ،٨/٤٤٨ وما بعدها .

(٣٧) الطبري ، ٨/٤٥٤ .

(٣٨) ابن الاثير : الكامل : ٦/٢٧٣ .

(٣٩) المصدر السابق ، ٨/٤٥٥ .

(٤٠) وانظر المسعودي ٣/٤١٤ . وانظر ابن الاثير، ٦/٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٤١) ارجع الى ذلك في الطبري ، ٨/٤٤٨-٤٥٤ ابن الاثير ، ٦/٢٧٤ .

(٤٢) الطبري ، ٨/٤٥١ .

(٤٣) المسعودي ، ٣/٤٠٢ .

(٤٤) المصدر السابق ،٨/٤٥٦ .

(٤٥) المسعودي ، ٣/٤٠٤ .

(٤٦) الطبري ، ٨/٤٥٨ .

(٤٧) المسعودي ، ٣/٤١٤ .

(٤٨) ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٢٧٥ .

(٤٩) الطبري ٨/٤٥٨ .

(٥٠) المسعودي ،٣/٤٥٦ . وانظر : الطبري ، ٨/٤٥٦ .

(٥١) المصدر السابق ، ٨/٤٦٦ .

(٥٢) ابن الاثير ، ٦/٢٥٢ . وانظر : الطبري ٨/٤٧٦ وما بعدها .

(٥٣) الطبري ، ٨/٤٦٢،٤٦٣ . وانظر المسعودي، ٣/٤١٦ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ٨/٤٦٣ وما بعدها .وانظر: ابن الاثير ، الكامل ٦/٢٧٦ .

(٥٥) ابن الاثير ، الكامل ٦/٢٧٦ . وانظر :الطبري ٨/٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٥٦) ابن الاثير ، الكامل ٦/٢٧٦ . الطبري ، ٨/٤٦٥ .

(٥٧) الطبري ، ٨/٤٦٥ .

(٥٨) الطبري ، ٨/٤٦٧ . وانظر : المسعودي ، ٣/٤٥٠٩ . وهو ينسبها لشاعر اخر .

(٥٩) المصدر نفسه ، ٨/٤٦٨ .

(٦٠) الطبري ، ٨/٤٦٧ ، ٦٦٨ .

(٦١) الطبري ، ٨/٤٦٨ .

(٦٢) المصدر السابق ، ٨/٤٧٠ .

(٦٣) المصدر نفسه ، ٨/٤٦٩ .

(٦٤) المسعودي ، ٣/٤٦ .

(٦٥) المصدر السابق ، ٨/٤٧٥ .

(٦٦) ابن الاثير ، الكامل ،٦/٢٧٦ .

(٦٧) انظر : الطبري ، ٨/٤٦٧ . وايضا : ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٢٧٧.

(٦٨) الطبري ، ٨/٤٧٦ .

(٦٩) المسعودي ، ٣/٤١٠٦ .

(٧٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٢٧٧ .

(٧١) المصدر نفسه ، ٦/٢٧٧ .

(٧٢) المسعودي ، ٣٠/٤٢٠ .

(٧٣) وانظر : ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٢٨٣ . وهناك اختلاف في بعض التفصيلات . واما الطبري فأورد المضمون (٨/٤٧٨) ولكن هناك اختلافات كبيرة فالسبعة الاف مقاتل ذكرها سبعمائة وكذلك عدد الخيول ذكرها ألفا وليس سبعة الاف .

(٧٤) انظر : الطبري ، ٨/٤٧٩ .

(٧٥) فاروق عمر ، ٣/٥٥ .

(٧٦) انظر : المسعودي ، ١٦٠/٤ .

(٧٧) ابن الاثير ، الكامل ، ١٣٦/٤ .

(٧٨) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : ص : ١٢٠ .

(٧٩) ادم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة ، بيروت ١٩٦٧ ، ص : ٣٠ نقلا عن مخطوطتي المنتظم وكتاب العيون .

(٨٠) المسعودي ، ٤١١/٣ .

(٨١) المسعودي ، ٤١٦/٣ .

(٨٢) المصدر نفسه ، ٤١٧/٣ .

(٨٣) المصدر نفسه ، ٤١٥/٣ .

(٨٤) ابن تيفور ، تاريخ بغداد ، ص: ١٨٧ .

(٨٥) الراغب الاصفهاني ، ١٩٨/٣ وما بعدها .

(٨٦) الجاحظ ، الحيوان ، دار صعب ، بيروت ١٩٧٨ ، ٣٩٢/٢ ، ٥٤/٣ .٥

(٨٧) المصدر السابق ، ١٩١/٣ .

(٨٨) المصدر السابق ، ١٩٢/٣ .

(٨٩) القاضي ابو علي المحسن التنوخي : الفرج بعد الشدة : تح. عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٨ ، ٢٣١/٤ وما بعد .

(٩٠) الراغب الاصفهاني ، ١٩١/٣ .

(٩١) انظر : علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (٦ اجزاء) بغداد ١٩٦٩ .

(٩٢) د. حمدان الكبيسي ، اسواق بغداد ، الدار الوطنية ، بغداد ١٩٧٩ ، ص٢٧٤ .

(٩٣) انظر تفاصيل ذلك : حسين مؤنس : الحضارة ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٧٨، ص ٢٦٧ وما بعدها . استنادا الى ما ورد في الطبري ، ٤٦١/٨ وما بعدها .

(٩٤) الجدير بالذكر ان كلمة عيار ظلت تستخدم في تركستان حتى وقت قريب بمعنى «اللص الشريف» الذي يلجأ الى أعمال اللصوصية لانه يفشل في تسوية وضعه الاجتماعي أو حريته السياسية .

(٩٥) انظر الى ما اشارت اليه المصادر التالية : مسكويه : تجارب الامم ، تح امدروز ، مصر ١٩١٤ ، ٣٠٣/٦ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد (١٤ جزءا) القاهرة ١٩٣١ ، ٨١/١ .

اليعقوبي ، لبدن ١٩٨٢ ١٣٢/٣ - ١٤٦. وانظر محمد رجب النجار : حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ١٩٨١، ص ٧٩ وما بعدها .

* * *